كشفت بها عن آل هاشم سبة ... وعارا أبى إلا بسيفك يكشف ... وقد ذكر ذلك أبو شامة في الروضتين وهى أطول من هذه وذكر أن أبا الفضائل الحسين بن محمد بن بركات الوزير أنشدها للخليفة عند موته بعد منام رآه وأراد بيوسف الثاني المستنجد وهكذا ذكر ابن الجوزي أنها أنشدت في حياة المستنجد ولم يخطب بها إلا لابنه المستضيء فجرى المقال باسم الملك الناصر صلاح الدين يوسف بن أيوب وقد أرسل الخليفة إلى الملك نور الدين معظمة لما بشر بالخطبة له بمصر وكذلك للملك صلاح الدين إلى الديار المصرية ومعها أعلام سود ولواء معقود ففرقت على الجوامع بالشام وبمصر قال ابن أبي طي في كتابه ولما تفرغ صلاح الدين من توطيد المملكة وإقامة الخطبة والتعزية استعرض حواصل القصرين فوجد فيهما من الحواصل والأمتعة والآلات والملابس والمفارش شيئا باهرا وأمرا هائلا من ذلك سبعمائة يتيمة من الجوهر وقضيب زمرد طوله أكثر من شبر وسمكه نحو الإبهام وحبل من ياقوت وإبريق عظيم من الحجر المانع وطبل للقولنج إذا ضرب عليه أحد فيه ريح غليظة أو غيرها خرج منه ذلك الريح من دبره وينصرف عنه ما يجده من القولنج فاتفق أن بعض أمراء الأكراد أخذه في يده ولم يدر ما شأنه فضرب عليه فحبق أي ضرط فألقاه من يده على الأرض فكسره فبطل أمره وأما القضيب الزمرد فإن صلاح الدين كسره ثلاث فلق فقسمه بين نسائه وقسم بين الأمراء شيئا كثيرا من قطع البلخش والياقوت والذهب والفضة والأثاث والأمتعة وغير ذلك ثم باع ما فضل عن ذلك وجمع عليه أعيان التجار فاستمر البيع فيما بقي هنالك من الأثاث والأمتعة نحوا من عشر سنين وأرسل إلى الخليفة ببغداد من ذلك هدايا سنية نفيسة وكذلك إلى الملك نور الدين أرسل إليه من ذلك جانبا كثيرا صالحا ولم يدخر لنفسه شيئا مما حصل له من الأموال بل كان يعطي ذلك من حوله من الأمراء وغيرهم فكان مما أرسله إلى نور الدين ثلاث قطع بلخش زنة الواحدة إحدى وثلاثون مثقالا والأخرى ثمانية عشر مثقالا والثالثة عشرة مثاقيل وقيل أكثر مع لآلىء كثيرة وستون ألف دينار وعطر لم يسمع بمثله ومن ذلك حمارة وفيل عظيم جدا فأرسلت الحمارة إلى الخليفة في جملة هدايا قال ابن أبي طي ووجد خزانة كتب ليس لها في مدائن الإسلام نظير تشمل على ألفي ألف مجلد قال ومن عجائب ذلك أنه كان بها ألف ومائتان وعشرون نسخة من تاريخ الطبري وكذا قال العماد الكاتب كانت الكتب قريبة من مائة وعشرين ألف مجلد وقال ابن الأثير كان فيها من الكتب بالخطوط المنسوبة مائة ألف مجلد وقد تسلمها القاضى الفاضل فأخذ منها شيئا كثيرا مما اختاره وانتخبه قال وقسم القصر الشمالي بين الأمراء فسكنوه وأسكن أباه نجم الدين أيوب في قصر عظيم على الخليج يقال له الؤلؤة الذي فيه بستان الكافوري